الملتقى الوطني الثالث
النص التراثي وإشكالية القراءة

لجنة التنظيم

رئيس لجنة التنظيم:

الدكتور المصري مبروك عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية

أعضاء لجنة التنظيم

- أ. محمد عبد الرحمان قاسي
- د. الطاهر مشري
- د. أحمد جعفري
- أ. الصديق مقدم
- أ. أحمد شكيب بكري
- أ. إدريس بن خويا
- أ. عبد القادر اقصاصي
- باسة عبد النبي

لجنة الطبع والإخراج:

عبد الرحمن بوظفـــر
عمـــــــــار بكراوي
باطيـــــــر عمـــــار

الملتقى الوطني الثالث
النص التراثي وإشكالية القراءة

رئيس الملتقى

أ.د. عيسى قرقب — مدير جامعة أدرار

رئيس اللجنة العلمية

أ. عبد الله رزوقي — جامعة أدرار

أعضاء اللجنة العلمية

أ. محمد عبد الرحمان قاسي	جامعة أدرار
د. الطاهر مشري	جامعة أدرار
د. أحمد جعفري	جامعة أدرار
د. محمد الأمين خلادي	جامعة أدرار
أ. عبد العزيز ابليلة	جامعة أدرار
أ. خالدي ميزاتي	جامعة أدرار
أ. مبارك بلالي	جامعة أدرار

الفهـرس العـام

أعضاء اللجنة العلمية	ب
الفهـرس العـام	ج
ديباجة الملتقى	ه
محاور الملتقى	و

المحور الأول: النص التراثي: تحديد المفاهيم.

01	أ.عبد الحفيظ تحيريشي	مفاهيم النص	13
02	أ. كريمة صمباوي	النص عند القدماء "بحث في الماهية"	19
03	أ. عبد العزيز ابليلة	النص التراثي: محاولة في تحد يد المفهوم	24
04	أ. محمد عبد الرحمان قاسي	القراءة: وإشكالية المصطلح	33
05	د. إبراهيم صدقة	تصور التراث النقدي للنص الأدبي ابن طباطبا أنموذجا	38

المحور الثاني: القراءات التقليدية للنص التراثي: وصف وتقييم .

06	د. شعيب مقتونيف	القراءات المتجدّدة للنصوص التراثية في النقد العربي القديم بين الثبات والتغيير	53
07	أ. عبد الله حبيبي	من آليات قراءة الشواهد الشعرية في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني.	61
08	أ. إدريس بن خويا	النص الأدبي – من بنية المعنى إلى سيميائية الدال–	70
09	أ. مبارك بلالي	قراءة في التراث الأدبي لحقبة ما قبل النهضة العصر العثماني والمملوكي	74
10	أ. محمد حاج قويدر	قراءة ثانية لشعرنا القديم للدكتور مصطفى ناصف عرض وتقديم	77
11	د. بوجمعة شتوان	إستراتيجية الاستعارة في الصورة التراثية	84
12	د. عبد الحليم بن عيسى	"النص التراثي وآليات قراءته التداولية" –نقد النثر لقدامة بن جعفر نموذجا–	90
13	أ. خالدي ميزاتي	النقد الأركوني للتراث : قراءة علمية أم إديولوجيا؟	104
14	أ. بريـك الضاوية	المنهج التكاملي وقراءة التراث الأدبي	107
15	أ. عبد الله مقلاتي	نقد التراث والتاريخية في مشروع محمد أركون الفكري	113

المحور الثالث: القراءات الحديثة للنص التراثي: المناهج الحديثة وآلياتها.

16	د. عبد الكريم بكري	أثر الدراسات القرآنية في النقد العربي الحديث	119
17	د. قادة عقاق	وعي التراث وإشكاليات قراءته (مدخل إلى دراسة العلامة في التراث العربي الإسلامي)	127
18	أ. سعاد شابي	إشكالية قراءة الخطاب الصوفي	136
19	أ. الصديق حاج أحمد	إسقاط المشروع الحداثي على النص القرآني – أطروحات الدكتور طه عبد الرحمان أنموذجا	142
20	أ. عز الدين حفار	معيار التماسك في النص الشعري قراءة في معلقة عنترة بن شداد	155

المحور الرابع: مقاربات تطبيقية للنص التراثي .

21	أ. محمد بوسعيد	النص التراثي وإشكالية القراءة "شروح ديوان المتنبي نموذجا"	159
22	أ. أحمد شكيب بكري	الأبعاد الدلالية في الحكاية الشعبية حكاية سالم والساحر _ لمحمد ديب _ دراسة سيميائية.	169
23	أ. نعيمة سبتي	قراءة النّص التراثي في الخطاب العربي المعاصر (من التنظير الحديث إلى التطبيق المعاصر)	186
24	أ. سليمان قوراري	مقاربة تطبيقية للنص التراثي من منظور حداثي سامي سويدان وريتا عوض نموذجا	194
25	الأستاذ: صديق مقدم	إشكالية القراءة في الأدب الأندلسي، تطبيقات في بعض النصوص الشعرية	199
26	Intervenant: Yahiaoui. Abderrahmane	Apprentissage du français dans la région de TOUAT	206
27	الأستاذ: عبد الحق خليفي	فهم النص التراثي بين المرجعية الفكرية والخلفية الفلسفية	213

ديباجة:

لا يزال التراث العربي – الإسلامي، بمختلف نصوصه وخطاباته، يطبع جوانب أساسية من حياتنا أفراداً وجماعات، ولذا فقد كان من الطبيعي أن يحتل موقفاً متميزاً في ثقافتنا الحديثة والمعاصرة، سواء بتوظيفه في الصراعات الإيديولوجية التي تشهدها الساحة الفكرية والسياسة عندنا، أو بمساهمة الباحثين والدراسين في إحيائه وإعادة قراءته وفق مناهج ورؤى مختلفة، مما جعل تلك القراءات تتراوح بين الفهم التقليدي الذي يحول النص إلى نموذج تاريخي مغلق وفهم آخر – علمي . قائم على توظيف التجديد المنهجي الحاصل في علوم الإنسان والمجتمع أملاً في لحظة تاريخية تضع الأمة في قلب العالم والعصر.

ولمّا كانت القراءات الحديثة التي تناولت النص التراثي . العربي . أكثر من أن تحصى، فقد رأى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة أدرار أن يجعل من تلك القراءات نفسها موضوعاً لقراءات أخرى مشروعة وضرورية، وذلك من خلال تنظيم ملتقى وطنيّ موضوعه: (النص التراثي وإشكالية القراءة) ليكون مناسبة للتعريف بأهم المناهج الحديثة، ومقولاتها، وأدواتها الإجرائية، ومرجعياتها الفكرية والإيديولوجية، وامتحانها في حقل النصوص التراثية لبيان حدودها.

محاور الملتقى الوطني

المحور الأول: النص التراثي: تحديد المفاهيم.

المحور الثاني: القراءات التقليدية للنص التراثي: وصف وتقييم .

المحور الثالث: القراءات الحديثة للنص التراثي: المناهج الحديثة وآلياتها.

المحور الرابع: مقاربات تطبيقية للنص التراثي .

برنامج سير الأشغال

التاريخ	التوقيت	البيان
الاثنين: 2008/04/21		**استقبال المشاركين من جامعات الوطن**
الثلاثاء: 2008/04/22	**09:30 – 08:00**	**الافتتاح الرسمي**
	12:30 – 10:00	**الجلسة الأولى**
	18:30 - 16:00	**الجلسة الثانية**
الأربعاء: 2008/04/23	**10:00 - 08:00**	**الجلسة الثالثة**
	12:30 - 10:30	**الجلسة الرابعة**
	19:00 – 16:00	**الجلسة الخامسة**
	18:30 – 18:00	**الجلسة الختامية**

* برنامج أشغـال الملتقـى الوطني الثالث *

" النَّـص التُّـراثِـي وإشكَـاليـَّـة الـقـرَاءة "

الثـلاثـاء :22 أبـريل 2008 .

الفـتــرة الصـبـاحيـــة: 08:00 – 12:30 .

09:30 – 08:00 مـراسيم الافتتـــاح.
- الافتتاح بآيـات قـرآنيــة.
- الاستمـاع للنشيد الوطني.
- كلمة السيد عميد كليـة الآداب .
- كلمة السيد رئيس قسم اللغة العربية.
- كلمة السيد رئيس اللجنة العلمية للملتقى(السيد الأمين العام للجامعة).
- كلمـة ممثـل الأسـاتذة الضيـوف
- كلمة السيد رئيس الجامعة.

10.00-09:30 استـــــــراحـــــة .

12:30 – 10:00 الجلســة الأولـــى . المحـــور الأول: النص التراثي تحديد المفاهيـــم .

رئيس الجلسة	المتـدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
د/أحمد جعفري	د/إبراهيم صدقة	ج/ سطيف	تصور التراث النقدي للنص الأدبي " ابن طباطبا" أنموذجا
	أ/ كريمة صمباوي	ج/ أدرار	النص عند القدماء "بحث في الماهية"
	أ/ عبد العزيز أبليلة	ج/ أدرار	النص التراثي: محاولة في تحديد المفهوم
	أ/ عبد الرحمان قاسي محمد	ج/ أدرار	القراءة : إشكالية المصطلح
	أ/ محمد الأمين خلادي	ج/ أدرار	أطاريح التراث العربي ومفاهيم دراستها
	أ/ عبد الحفيظ تحريشي	ج/ أدرار	مفاهيم النص .

الفـتـرة المسـائيـة: 16:00 – 18:30.

الجلســة الثانيـة : المحـور الثاني: القراءات النقـدية للنص التراثي ، وصف وتقديم .

رئيس الجلسة	المتـــدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
د/ الطاهر مشري	د/شعيب مقنونيف	ج/تلمسان	القراءات المتجددة للنصوص التراثية في النقد العربي القديم بين الثبات والتغيير
	أ/حبيبي عبد الله	ج/ أدرار	من آليات قراءة الشواهد الشعرية في منهاج البلغاء وسراج الأدباء لابن حزم القرطاجني
	أ/لعلمي حدباوي	ج/ أدرار	قراءة إحسان عباس للتراث
	أ/بن خويا إدريس	ج/ أدرار	النص الأدبي من بنية المعنى إلى سيميائية الدال
	أ/أبلالي مبارك	ج/ أدرار	قراءة في التراث الأدبي لحقبة ما قبل النهضة العصر العثماني والمملوكي
	أ/الحاج قويدر محمد	ج/ أدرار	قراءة ثانية لشعرنا القديم للدكتور "مصطفى ناصف"عرض وتقديم
استراحـــــــة			

الأربعاء :23 أبريل 2008 .

الفـتـرة الصباحيـة: 08:00 – 12:30

08:00- 10.00 .الجلسة الثالثة: المحور الثاني : **القراءات النقدية للنص التراثي : وصف وتقديم**

رئيس الجلسة	المتـــدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
أ .د/ بكري عبد الكريم	د/بوجمعة شتوان	ج/ تيزي وزو	إستراتيجية الاستعارة في الصورة الشعرية التراثية.
	د/بن عيسى عبد الحليم	ج/ وهران	النص التراثي وآليات قراءته التداولية نقد النثر لقدامة بن جعفر – أنموذجا
	أ/خالدي ميزاتي	ج/ أدرار	النقد الأركوني للتراث :قراءة علمية أم إيديولوجيا؟
	أ/ باريك الضاوية	ج/ أدرار	المنهج التكاملي وقراءة التراث الأدبي
	أ/مقلاتي عبد الله	ج/أدرار	نقد التراث والتاريخانية في فكر محمد أركون
	أ/خليفي عبد الحق	ج/أدرار	فهم النص التراثي بين المرجعية الفكرية والخلفية الفلسفية

استراحـــــة

10:30 -12.30 الجلسة الرابعة:المحور الثالث:**القراءات الحديثة للنص التراثي/المناهج الحديثة وآلياتها**

رئيس الجلسة	المتـــدخـــل	الجامعة	عـنـــوان المـــداخلـــة
د/ محمد الأمين خلادي	أ.د بكري عبد الكريم	ج/ وهران	أثر الدراسات القرآنية في النقد العربي الحديث
	د/قادة عقاق	ج/ س/ بلعباس	وعي التراث وإشكاليات قراءته(الخطاب السيميائي نموذجا)

	د/مشري الطاهر	ج/ أدرار	إشكالية قراءة التراث الصوتي العربي من خلال كتاب (المجمل في المباحث الصوتية) د. مكي درار
	أ/شابي سعاد	ج/ أدرار	إشكالية قراءة الخطاب الصوفي
	أ/الحاج أحمد الصديق	ج/ أدرار	إسقاط المشروع الحداثي على النص القرآني – "د / طه عبد الرحمان ".أنموذجاً.
	أ/بكري أحمد شكيب	ج/أدرار	الأبعاد الدلالية في الحكاية الشعبية: "حكاية سالم والساحر لمحمد ديب نموذجا" دراسة سيميائية

الفتـرة المسـائيـة :16:00 – 19:00 .

16:00-18.00 الجلسـة الخـامسـة: المحور الرابع: مقـاربات تطبيقيـة للنص التـراثي .

رئيـس الجلسة	المتـدخـل	الجـامعـة	عـنـوان المـداخلـة
أ/ عبد الرحمـان قـاسي محمد	أ/حفار عز الدين	ج/ مستغانم	معيار التماسك في النص الشعري "قراءة معلَّقة عنترة بن شداد"
	أ/بوسعيد محمد	ج/ الشلف	النص التراثي وإشكالية القراءة "شروح ديوان المتنبي أنموذجاً
	أ/سبتي نعيمة	ج/ أدرار	قراءة النص التراثي في الخطاب العربي المعاصر من التنظير الحديث والتطبيق المعاصر .
	أ/قوراري سليمان	ج/ أدرار	مقاربة تطبيقية للنص التراثي من منظور حداثي. سامي سويدان و ريتا عوض نموذجا
	أ/مقدم صديق	ج/ أدرار	إشكالية القراءة في الأدب الأندلسي، تطبيقات في بعض النصوص شعرية
	أ/ يحياوي عبد الرحمان	ج/ أدرار	LE FRANCAIS COMME LANGUE D' E'CHANGE ET LE PATRIMOINE CULTUREL LOCAL.
استراحـــة			

الجلسـة الختـاميـة: 18.00–18.30 .قراءة التوصيات واختتام أشغال الملتقى .

المحور الأول:

النص التراثي: تحديد المفاهيم

قراءة ثانية لشعرنا القديم
للدكتور مصطفى ناصف عرض وتقديم

الأستاذ: محمد حاج قويدر
قسم اللغة والأدب العربي
جامعة أدرار

يتألف هذا الكتاب من مقدمة وثمانية فصول مرتبة كالتالي:

. الإحساس بالتراث.

. حلم المستقبل.

. البطل.

. الناقة الأم.

. الأرض الظامئة.

. نحو مبدأ عظيم.

. مشكلة المصير.

. الحاجة إلى الخوف.

وأول ما يشد انتباه القارىء هو أن عناوين هذه الفصول في عمومها ذات طابع رمزي، وأنها مستمدة من المادة المدروسة (الشعر الجاهلي). ولا يراد إسقاطها عليها بالقوة.

في المقدمة بيّن المؤلف أن الدراسات الكثيرة التي كتبت عن الأدب الجاهلي لا تهتم بالأعمال الأدبية (القصائد)، بل فصلت القول في أشياء أخرى قد تكون مهمة إذا عرف الدارس كيف يستغلها. ونتج عن هذا أن ظلت صورة قصائد الجاهليين واحدة أو كالواحدة في أذهان الدارسين. وهذا دليل على أن قراءة الأدب العربي إجمالا لم تعرف النمو والتطور، فجاءت الدراسات متشابهة في بنيتها الفكرية بسبب القراءة السطحية.

إن القصيدة عالم مكتف بذاته، وهي بحاجة إلى قارئ قوي ورفيق معا يطرق بابها حتى تأذن له بالدخول، ولكن الدارسين لا يجهدون أنفسهم في الطرق، أو في كسر الحواجز النفسية والعقلية التي تفصلهم عن ذلك العالم.

وبسبب هذه الحواجز فإننا لم نقرأ أدبنا العربي قراءة حسنة، ولذلك فالكثير من جوانب حياة هذا الأدب يكتنفه الظلام، فهو بحاجة إلى أن نعيد قراءته عسى أن نفهمه ونتمتع بتذوقه.

أولا:

الإحساس بالتراث: في هذا الفصل انطلق الكاتب من أعمق ظاهرة في النقد العربي القديم –كما يرى– وهي الإحساس الشديد بنقاء الأدب العربي، وقد انبثقت النواة الأولى لهذا الإحساس من القرآن الكريم على أنه مثال للغة العربية النقية، ثم سيطرت فكرة النقاء على أذهان الباحثين، فكان مدار بحثهم مرتكزا على مظاهر صحة الأدب العربي وعافيته.

إن نقاء الأدب العربي وهو التعبير عما يشبه صمود العقل العربي في وجه الغزو الثقافي القادم من كل الأنحاء، ولذلك كان الحرص على تشخيص هذا النقاء جيلا بعد جيل، فشخص أولا برسم الصورة المثلى للغة العربية ممثلة في القرآن الكريم، وشُخص ثانيا بالإصرار على أن الأدب العربي صورة ناضجة قبل أن تفد عليه ثقافات الأمم الأخرى، وبالتالي فالأدب الجاهلي أعلى قمم الشعر العربي على الإطلاق.

وكان هذا الأدب بمثابة الدرع الذي يدفعون به خطر الذوبان في الثقافات الوافدة، فلذلك أعظموا من شأنه، وتمسكوا به، وكان عمود الشعر عندهم جزءا يشبه عمود الدين، والحياد عنه بدعة من البدع أو ضلالة من الضلالات، ولذلك فقد وجد النقد العربي كثيرا من الحرج في محاولات البعض الخروج عن النظام القديم، فحينما حاول جرير التعبير عن عاطفته الخاصة بقوله:

إن الذين غدوا بلبك غادروا وشلا بعينك ما يزال معينا
غيضن من عبراتهن وقلن لي ماذا لقيت من الهوى ولقينا

قال النقاد: هذا لفظ جميل، ولكنهم طاردوه بقسوة لأن التعبير الشخصي عن العاطفة، كان كالمروق من سلطان النظام.

فالنقد العربي القديم يبحث عن الحاضر الذي يتفاعل مع الماضي، أو الجديد الذي يعانق القديم، ومشكلته هي في البحث عن العلاقات بين قيم جديدة وقيم قديمة، أو بين التقليد والاجتهاد، أو بين التطور والثبات، فلا تطور بغير ثبات، ولا استقرار بغير نبوغ فردي هو الذي يؤكد الماضي مهما يكن في هذه العبارات من أشد المفارقات.

وقد تولد عن هذا نوع من المحافظة التي تعني الشعور بالشخصية الجماعية، والتقدير المستمر للماضي، فكانت النتيجة أنْ حظي الأدب الجاهلي بعنايتهم واهتمامهم، فاتخذوا منه نبعا صالحا للإلهام لا يعرف النضوب، وكان عندهم بمثابة الأسطورة، التي تحيا وتتشكل بكل شكل، وتستعصي على النفاد والاضمحلال.

أما النقد العربي الحديث فإنه يبدأ من نقطة الشعور بالضعف الذي لا يسهل أن يُقاوم، والحاجة إلى القوة التي لا تكون إلا بدم جديد، وهو بهذا يمثل بدء إنكار الموقف العربي القديم في جملته وأصوله.

لقد عبر الرواد من نقادنا المحدثين عن حالة من القلق عندما وجدوا أنفسهم في مؤخرة الركب، فبدأت نظرتهم إلى الماضي بالتغير، فأول ما عابوه على الأدب القديم تمسكه بمبدأ النقاء، وحرصه على الماضي، وخوفه من الذوب، واعتداده بفكرة المبادئ والأصول، ولذلك دعوا إلى التجديد، وصارت الكلمة أكثر تداولا على

الألسنة بدل كلمات مثل الاجتهاد أو التثقيف أو التنقيح،بل صارت شعارا على النهضة، يحمل في طياته الدعوة إلى ما يشبه التغيير والتعديل الجوهري في الأدب.

إن دور هؤلاء الرواد تمثل في مكافحتهم لتضخم الإحساس بالماضي، فكان أن ظهر الأدب العربي عاجزا عن الاكتفاء الذاتي، وبدا النقد القديم منحصرا في مجموعة من الانطباعات التي تطغى عليها البلاغة اللفظية، وفكرة الجمهور، ومقتضيات الإثارة والاستمتاع، ولا سبيل إلى الخروج من هذه الوضعية إلا بإذكاء فكرة الانفصال، والتوجه إلى قراءة التراث الأوروبي.

وهنا تطرح مشكلة الانتماء، فالأدب في نظر النقاد القدماء محاولة انتماء إلى شيء خارج عن الذات، أو كما يريده الرواد فهو محاولة الانتماء إلى الذات.

وهذه المشكلة لم تنل حقها من العناية عند الرواد، بل إن الفلسفة التي أشاعوها تنتهي إلى التهوين من فكرة الانتماء، فليس هناك كل واضح تنتمي إليه الذات في رأي العقاد ومدرسة الديوان، إن الذات صانعة إطارها، وهي التي تمنح هذا الإطار هدية للمجتمع، وعلى هذا الأساس فتصورهم للنهضة لا يتمثل في إعادة تفهم العلاقة بين الماضي والحاضر، فالذات لا تنبعث من الماضي، فالذات منحة أو معجزة متحررة من كل القيود،وبالتالي فهي تصنع التاريخ.

وقد جعل العقاد من واجبه الدعوة إلى تنشيط الذات الفردية، وتصور أن الفردي الذي يتم البحث عنه، يصح وجوده دون أن يمتلك مقومات الحوار مع الماضي، وأن بإمكانه الحياة والبقاء خارج إطار هذا الحوار، ولهذا السبب حدث ذلك الصدع في علاقاتنا العاطفية للأدب القديم، فضلا على الصدع العميق في طريقة تفهمه.

إن هذه الذاتية أفرزت نوعا من المعايير مفادها أن على الأقدمين أن يتقربوا إليّ، وأن على الأدب العربي أن يبرز في صورة مطابقة لمطالبي وذوقي ووجداني، ونتيجة لهذا اتسعت دائرة الرداءة وصارت أجزاءٌ كثيرة من أدبنا العربي فاقدة للحياة في نظر هذه المدرسة.

إن ما يشبه القلق والشعور المفرط بالبطء والتخلف جعل هؤلاء الرواد لا يصبرون على تقصي تلك النماذج الأدبية الموسومة عندهم بالرداءة، لأنه لم يُتح لهم بذل جهد كبير من أجل الدخول في صميم الجو الفكري الذي عاش فيه الشعراء الأقدمون، وكان اهتمامهم منصبا على خدمة الشعار الذي رفعوه (من لا يخلص لذاته فهو خائن)، فحدث أن قاسُوا الأدب العربي بمقاييس غريبة عنهم، فتفاقم في نفوس قرائه ودارسيه الشعور بالاغتراب، لأن كل من يتبنى مقاييس معينة يريد من إسقاطها على الأدب العربي الحصول على شيء، فإذا لم يجده اتهم آباءه بالتقصير في البحث عنه، وأنهم لم يتركوا له ما ينتفع به، وهذا دليل على إغفاله أن وظيفته تتمثل في إدراكه أنه هو الذي يصنع الماضي، وأن الماضي ليس كتلة معينة تنقل من مكان إلى مكان، وليس شيئا محدودا بمكان.

لقد رسخ في كثير من الأذهان أن الماضي قد اكتمل صنعه، ولا سبيل أمامنا إلا أن نقبله، أو أن نرفضه، وهذا إحساس سلبي بالتراث.

وإذًا فنحن في حاجة إلى أن نرى تراثنا بعيون كثيرة،ونسمع بآذان كثيرة،فذلك هو الذي يبعد عنه الجمود والركود.

ثانيا:

حلم المستقبل: في هذا الفصل بيَّن الكاتب أن دراسة الأدب الجاهلي عمل ممتع، لأنه الأكثر تأثيرا في مجرى الأدب العربي، وقد مرت على الأدب العربي حيوات وعصور مختلفة سميت بـ: إسلامي وأموي وعباسي وحديث ومعاصر، وقد تفاعل هذا الأدب معها إلى حد كبير، وظهرت عليه سمات التطور والتغيير، ولكنه حافظ على صفته الثابتة، وأصالته العريقة.

إن مصدر هذه الخاصية هو الأدب الجاهلي، فهو أشبه بالبؤرة التي انصهر فيها الأدب العربي، وهو بمثابة الجذور بالنسبة للشجرة،وهو لا يمثل طفولة الأدب العربي تمثيلا دقيقا، بل هو ثمرة من الثمار الناضجة، وعلى هذا يمكن القول إن أوائل الأدب العربي شكلت أواخره، ولا مبالغة في هذا القول، لأن الأدب العربي تطور تطورا طبيعيا، يتمثل في إعادة تشكيل الماضي،وليس الماضي إلا الأدب الجاهلي، ومن هنا تأتي خطورة الدراسة لهذا الأدب.

إن أهم ميزة تولدت عن تأثير الأدب الجاهلي هذا، هي التطور والثبات والحركة والاستقرار في آن واحد، ومن مظاهر هذا التأثير أن ظلت المادة الفكرية والخيالية للأدب الجاهلي مستمرة عند الشعراء المتأخرين فترة طويلة من الزمن، وظلت لغته معينا لا ينضب للتفكير، وضلت أوزان الشعر العربي هي الأوزان الجاهلية إلا قليلا، ولم يستطع التغيير الحاصل أن يطمس الأثر السحري الجاهلي.

لقد كانت هنالك نهضة ثقافية في العصر الجاهلي، ولكنها لم تدرس حتى الآن دراسة كافية، وأبرز أدوات هذه النهضة وجود لغة أدبية واحدة تكشف عن تطور اجتماعي ونمو شعور بضرورة الترابط والامتزاج الوجداني، وهذا ما يبرر توقع وجود حلم مستقبلي في توحد القبائل العربية في شعب واحد.

إن وحدة مستوى من مستويات اللغة تعكس وجود أهداف مشتركة، بل تعكس صورة البحث في أنظمة فكرية وشعورية أفضل، ولكن الذي يحول دون تصور هذا هو وجود كلمة "جاهلي"، فلا بد من إعادة النظر فيها والتقليل من شأن دلالتها السلبية.

فظاهرة تعليق القصائد على الكعبة –وهي ذات بعد رمزي– توحي بالقدرة على التمييز بين الرؤية الشخصية الخالصة والرؤية الاجتماعية، أي على التمييز في الشعر بين ما هو عرضي وما هو جوهري، فالتعليق تعبير رمزي مختصر عن بحث المجتمع الجاهلي عن مقومات أفضل، هنالك حاجات يريد المجتمع الجاهلي إشباعها، والشعر القديم ليس انعكاسا لفكرة البداوة التي توحي بالسطحية وعدم التعمق في الأشياء، إن حياة هذا العصر أعمق مما نتصور، إنه عصر شهد صراعا روحيا قويا، وقلقا واضطرابا، وكانت تشغله أسئلة مرهقة عن مبدأ الإنسان ومنتهاه ومصيره وشقائه بطريقة منطقية لا يتأتى لنا إذا تصورنا الشعر الجاهلي سطحيا واقعيا خاليا من أثر القلق والصراع والنضج الأدبي.

وإذن فنحن في حاجة إلى إعادة قراءة شعرنا القديم، فلو أحسنّا قراءته استنادا إلى تطلعات المجتمع في العصر الجاهلي لبدا لنا وافر الحظ من العمق والثراء.

ثالثا:

البطل: وهو عنوان الفصل الثالث من الكتاب، وفي بدايته يبين الكاتب أن موضوعات الأدب الجاهلي كثيرة ولكنها قابلة للترابط، وأن فهمها لا يتأتى للقارئ إلا إذا أجهد نفسه في البحث عن التماسك أو الترابط الممكن.

فصورة الفرس مثلا عند الشعراء الجاهليين صورة متكاملة الأجزاء، وغالبا ما ترتبط هذه الصورة بالماء والسيل والبحر والمطر، والذي يقرأ معلقة امرئ القيس يجد ارتباطا وثيقا بين الفرس والمطر، فالمتنزل والمسح والسابح والدرير وهي صفات وصف بها الفرس تؤلف عالما واحدا أقرب ما يكون إلى عالم المطر، ولعل في هذا ما يدل على أن فصل الموضوعات في العصر الجاهلي، لا يساعد على الشرح والتوضيح، وعلى فهم المعنى المقصود، فعالم الفرس عنده أشبه بعالم المطر، ولا يمكن فهم أحدهما بمعزل عن الآخر، ففرس امرئ القيس ذو طابع أسطوري، وهو في وصفه له كأنما يروي قصة الفرس الذي يجاهد من أجل المطر.

وربما تزداد صورة الفرس وضوحا إذا ما قارنا بينها وبين صورة الصعلوك، فالصعلوك فتى مغير فقير طريد لم يجد في حياته راحة أو اكتفاءً، ولكن الفرس على العكس من ذلك تماما، فلقد أعطي الكثير من المزايا التي حرم منها الفقراء، وظهرت آثار العناية وحسن التربية على وجهه وجسمه، والفرس كريم مترفع عن الأثرة، مقتحم للصعاب، يضحي في سبيل الآخرين، وكأن في هذا نداءً للمجتمع كي يؤديَ رسالة هدي وإنقاذ.

إن صورة الفرس هي صورة الرجل النبيل، الذي ملأته العزة والثقة، وصورة لما يتشبث به الشاعر أملا في المستقبل. ومن أجل ذلك كان الفرس على الدوام شابا ولم يتعرض الشاعر للمراحل الأخرى من حياته. فالفرس بهذه الصورة تعبير رمزي عن رغبة في التغيير وتطلع إلى وضع أكمل وأفضل. وربما يكون الفرس بهذا الوصف أيضا أقرب إلى صورة البطل أو المعلم العظيم الذي يرشد الناس ويأخذ بأيديهم إلى كل خير.

رابعا:

الناقة الأم: في بداية هذا الفصل يشير الكاتب إلى التشابه بين صورة الفرس، وصورة الناقة، ولكن هذا التشابه لا يُحيل إلى التكرار. فشخصية الناقة غير شخصية الفرس، وإذا كان في الفرس أبوّة وما يرتبط بها من رجولة وعنف وزحام، فقد كانت الناقة أشبه الأشياء بالأمومة القوية؛ ولذلك اقترنت في أذهان العرب بالنخلة، فأمومتها أمومة صابرة قادرة راغبة بطبعها في استمرار الحياة.

فالشاعر يصفها وهي تتحرك وتنتقل ولكن طريقة تخيلها تعطي لها صورة كيان مستقر أسمى من عوارض التغيرات. فهي قادرة على أن تعيش على نبات خشن ذي أشواك، وهي قادرة على أن تحفظ الماء في جسمها، فكانت الناقة هي التعبير الصالح عن فكرة الثبات والقهر والصمود.

وفي الحديث عن فكرة الأمومة تلتقي الناقة مع النعامة التي تبسط جناحيها لحماية صغارها، وتلتقي مع الظبية التي تبحث عن ابنها الشريد. وهذا الحديث عن فكرة الأمومة جزء من التعبير عن رغبة في الانتماء. والأمومة أقدر على تربية هذا الإحساس من الأب. فالانتماء إلى الأم شاغل مهم عند المجتمع الجاهلي لأن الأم هي المنبت الحقيقي لفكرة المحبة والرضا والسلام.

الناقة في الشعر الجاهلي لها صلة بكل جزئيات الحياة اليومية لها صلة بحمار الوحش، ولها صلة بالحرب والسلام، ولها صلة بالأطلال والمطر، وفكرتها هي منبت كل ما أهم وأقلق وأحزن الشاعر الجاهلي، ولذلك لا ينافسها في خلق أفكاره وتأملاته شيء، بل إن صلته بالناقة أوثق من صلته بالمرأة، فالمرأة ترتبط بفكرة المتعة، أما الناقة فترتبط بفكرة العمل، فالناقة العاملة مبدأ أرفع من الحس، وأكثر سموا من الإنسان.

خامسا:

الأرض الظامئة: في هذا الفصل يبين الكاتب أن الحديث عن المطر كل متكامل، وصورة المطر في الشعر الجاهلي ساهم في رسمها العديد من الشعراء يتعمقونها، أو يحورونها، فتنمو شيئا فشيئا لتصل إلى درجة التكامل.

ففي صورة المطر عند امرئ القيس مثلا شيء من الدمار، وفي المطر ولادة وانبثاق، هو قيامة غير عادية، أو هو هزة كبرى تنسخ التجارب اليومية المألوفة وتفصل بين جزئين من الحياة.

وتقترن صورة المطر بصورة الكلب النابح أو المستنبح، فهذا النباح هو صوت الأرض الظامئة إلى المطر. والمطر مرتبط بفكرة الكرم، والرجل الكريم في الشعر الجاهلي ليس واحدا من الناس، بل هو أكبر من ذلك، إنه مرتبط بالطبيعة وهو يأخذ إلهامه من السحاب مباشرة.

وفكرة المطر مشابهة لفكرة الناقة، وبينهما علاقة وتبادل غريب. فالشاعر يهفو إلى استقبال المطر لأنه نبأ عظيم، والناقة تضطرب في سيرها وتقدم كل نفسها بحثا عن المطر.

سادسا:

نحو مبدأ عظيم: يبدأ الكاتب هذا الفصل بعرض قصيدة معدودة من مختار الشعر لشاعر اسمه الحادرة، بدأها بالغزل والنسيب، ثم ذهب مذهب العرب، في الفخر بالوفاء والنجدة ومعاناة الحروب، وحفظ الذمار، وذكر الخمر، وتجشمه الأسفار، ووصف الناقة، ومطلعها:

بكرت سمية بكرة فتمتع وغدت غدوَّ مفارق لم يربع

وقد تردد اسم سمية في ثنايا القصيدة، وليس هذا التردد بالأمر العفوي، لقد استحالت سمية إلى رمز من رموز المديح لتعلقها على الخصوص بفكرة الغزال. إن سمية واحدة من البشر ولكنها تفوقهم جميعا، إن فكرة الشاعر هنا هي البحث عن مبدأ ينفذ في الحياة ولكنه يفارقه، إنه يبحث عنه في صحراء مترامية الأطراف، فهو معرض للتيه والضلال، ولكنه لن يقف، وسيظل تواقا إلى فكرة الحج باحثا عن حقيقة ما لما في الرحلة من مشقة ومجاهدة.

سابعا:

مشكلة المصير: وفي هذا الفصل يستعرض الكاتب أبياتا غير قليلة من معلقة طرفة بن العبد، وخاصة المقدمة الطللية ثم وصف الناقة، وما يلاحظه الكاتب أن الناقة لا تنفصل عن محاولة استيعاب الطلل، وهي كذلك بصفاتها تستوعب مظاهر البناء والتشييد مثل: قنطرة الرومي، والأبواب، والقصور. فالناقة كالملجأ الأمين الذي يقي صاحبه من الكثير الذي يتهدده.

وفي جزء آخر من القصيدة يُسمى فخرا وقد عده البلغاء ومؤرخو الأدب كذلك. ولكنه مطاردة للخوف الكامن في نفس الشاعر، فهو يعيش مع الناس في ظاهر الأمر، ولكنه بعيد عنهم.

فطرفة في شعره شاب يريد أن يتكشف فكرة المصير التي تطرق وجدان الشعوب في بداية السلم الحضاري، فالشخصية القوية هي التي تحس وجودها على نحو قوي، ومن ثم تفكر في الموت. فالمصير لا يمثل إشكالا بالنسبة لضعيف الشخصية، أو لا يصل إلى جعل هذه الأفكار قضية بالنسبة له.

ثامنا:

الحاجة إلى الخوف: في هذا الفصل يحلل الشاعر بعضا من أبيات معلقة النابغة التي مطلعها:

يا دار ميَّة بالعلياء فالسند أقوت وطال عليها سالف الأمد

فيرى الكاتب أن أول ما يُواجه نظر القارئ شيء غريب أقرب إلى تحية الوحشة والانفراد. فالوحشة أحيانا تكون ضرورية تؤدي إلى تنبيه الذات لكل ما لها من قدرات.

إن ما يبدو للشاعر الجاهلي من حب الوحشة والانفراد إنما يصدر في ما يظهر من الإحساس بالشر أو الخوف مما يُسمى الدهر، وربما عمق هذا الإحساس لديه التحلل من الديانات التقليدية الشائعة أو من بعضها. فالشعر يفصح عن مخاوف الجماعة العربية قبل الإسلام أكثر مما يفصح عنها التاريخ؛ ولذلك ذهب أرسطو إلى أن الشعر أكثر فلسفة من التاريخ. ومما يؤكد هذا الشعور ذكر النابغة للأسد:

ولا قرار على زأر من الأسد

فالأسد عدو للإنسان، وهذا العالم الذي عاش فيه الشاعر عالم ينزع إلى البعد عن المنطق والمعقولية، ولا يمكن للإنسان أن يتمتع في عالم كهذا بكمال إنسانيته، ولذلك فكأن الشاعر يحذر ضمنا من هذا العالم الذي لا يعرف الخوف، أو لا يرى له مكانا في نظام الحياة.

خاتمة:

إن الشعر الجاهلي بحاجة إلى أن نعيد قراءته بعمق وتأن بعد أن نزيل كل الحواجز النفسية التي تحول بيننا وبينه فعند ذلك تنكشف لنا الكثير من أسراره وتنفتح لنا الكثير من مغاليقه.